"الرسالة" و"الثقافة" تموتان من جديد

القاهرة ، من احمد رشدي حسين :

ان الذين فوجئوا بتوقف بعض مجلات وزارة الثقافة ، فريقان: الاول يمكن ان ندعوه باصحاب «النية الحسنة»، واعني بهم الجمهور المحدود من قراء هذه المجلات ، والثاني يمكن ان نسميه بجمعية المنتفعين ببيزانية هذه المجلات .

على ان الغالبية الساحقة من المثقفين لم تفاجأ بهذا القرار الحاسم ، الذي يرى له البعض جانبين : احدهما ايجابي ، وهو وضع الامور في نصابها بايقاف المهازل الاسبوعية التي كانت تدار من منابر «الرسالة» و « الثقافة »، بشكل خاص ؛ والجانب الآخر هو ان القرار في جوهره يتسم برد الفعل الذي قد يترك اثرا من المرارة . فقد كان الاولى الا تصدر هذه المجلات من البداية بالصورة التي صدرت بها ، او تصدر بعد تخطيط واعٍ دقيق باحتياجات المرحلة التي تجتازها مصر والامة العربية .

وليس صحيحا ما يقال من ان سقوط مجلات وزارة الثقافة ، هو سقوط مباشر للفكر اليميني في مصر ، كما انه ليس صحيحا على الاطلاق ان قرار الايقاف اتخذ بعد دراسة احصائية للربح والخسارة. فلا شك ان المجلات والمسارح والمعارض التي تشرف عليها الدولة ، لا تستهدف الربح بقدر ما تستهدف تيسير الثقافة لجماهير الشعب القارئة ، وغير القادرة على تلبية الاسعار المرتفعة . ومع هذا تتبقى حقيقة موضوعية خطيرة ، هي انه اذا كانت الدولة تقدم الثقافة الجادة الى الجمهور القارىء باسعار زهيدة ، فهذا شيء مختلف عن ان تكون هذه الثقافة الجادة طعاما دسما لفئران وصراصير مخازن ادارة المجلات الآيلة للسقوط بما تحمل من اطنان الورق المطبوع .

اما مسألة اليمين واليسار في الثقافة المصرية ، فلم تصل بعد — في مستوى السلطة — الى الدرجة التي تصدر معها قرارات باسقاط منابر الفكر اليميني . فما تزال القيادة الثورية في مصر تسمح بتعدد المنابر واختلاف الآراء، ايمانا منها باننا في مرحلة «الصراع الكبير » بين مختلف الاتجاهات الفكرية ، بحيث ان المناخ الحر سوف يثبت اقدام التيار الاكثر تقدما ، بالضرورة والحتمية. فسقوط الفكر اليميني لايحدث بمجرد اصدار قرار ، بل انه لا يسقط بمجرد توقف نوع معين من المجلات عن الصدور. والحق ان المشكلة في مجلات « كالرسالة » و « الثقافة » و « القصة » و« الشعر »، لم تكن مشكلة اليمين واليسار بقدر ما كانت مشكلة المستوى الحضاري الذي كانت تصل اليه هذه المنابر من هبوط شنيع . لا ريب ان التخلف المزري عن مستوى العصر ، من ركائز الفكر اليميني ، ولكن ثمة فرقا هائلا بين ان يعبر هذا الفكر عن نفسه في مجلة واضحة « كالفكر المعاصر » ، التي اختطت لنفسها من العدد الاول منهجا محددا يستمد اصوله من منهج رئيس تحريرها كاستاذ للفلسفة الوضعية ، وبين ان يعبر هذا الفكر عن نفسه في مجلة « كالرسالة ». «فالفكر المعاصر»، رغم اتجاهها المعادي لليسار ، لم تنحط ولم تبتذل نفسها في مهاترات من اي نوع، بينما كانت «الرسالة» و « الثقافة » تبدوان كمنشور تصدره جهة مغرقة في الرجعية ، مرتين في الاسبوع ، باموال دولة الشعب العامل .

وربما كانت مقالات الدكتور لويس عوض في « الاهرام » حول هذه المجلات، هي الصدى المركز لما كانت تختلج به صدور المثقفين نحو القائمين على اصدارها. واذا كانت للارقام اهميتها في معالجة هذه الموضوعات ، فان مقالات لويس عوض اوفت هذا الجانب حقه في البرهنة على افلاس هذه المجلات — لا

من اموال الميزانية، وانمـــا افلست من انعدام ثقة القارىء بها . الا ان لغة الارقام لا تستوعب القضية من جذورها ، بل هي تجسد النتيجة النهائية من احد الجوانب ، وهو الحصيلة الاقتصادية .

هناك لغة اخرى لا بد من التحدث بها في صراحة ووضوح ، ونحن بصدد مثل هذا الموضوع . تلك هي لغة « التخطيط الموضوعي » لمنابر الثقافة في بلادنا . فنحن نحسن الظن بذكائنا الى ابعد مدى، حين نتصور ان امثال احمد حسن الزيات و محمد فريد ابو حديد ، (اللذين لعبا دورا هاما قبل ثلاثين سنة) ، من الوجوه القادرة على حمل عبء هائـــل كالاشراف على تحرير مجلة ثقافية معاصرة . ان امثال هذين الرائدين ، يجب ان يستريحوا من عناء الطريق الطويل المضني الذي افنوا زهرة عمرهم في شقه لنا. يجب ان نتيح لهم فرصة هـــانئة لشيخوخة سعيدة تبـارك خطوات الاجيـال الجديدة التي ولدت من صلبهم ومن نضالهم. والاجيال الجديدة هي الاجيال المعاصرة التي لا تعيش في ظـل شيخوخة الرواد ، وانما هي تتجاوزهم الى مستوى العصر الذي تخلفوا عنه بحكم الزمن او الظروف .

هذه هي النقطة الاولى ، نقطة الاختيـار الحر الصارم للقيادات المفكرة ، القادرة على حمل العبء في مرحلة تحول مجتمعنا من قيم الاقطاع والاستعمار والرأسمالية الى قيم البناء الاشتراكي . فلا ينبغي ان نبالغ في تقديس الماضي لدرجة ان تعمى عيوننا عن الحاضر، وتكف عقولنا عن رؤية المستقبل. ومصر التي قـامت بثورة تموز (يوليو) ، مصر التي تبني السد العالي ، تملك من الكفاءات الفكرية ما يرتفع بثقافتنا الى مستوى الثورة ومستوى السد العالي . انما علينا ان «نخطط» للاختيار، كما نخطط للاقتصاد.

واختيـــارنا للاشخاص لـن يكون في مقدمة التخطيط الثقـافي ، وانما سيكون من نتـائجه . فالمقدمة يجب ان تنحصر في دراسة احتياجات المرحلة الحضارية التي يجتازهـا مجتمعنا الآن : مـــا هو المجرى الرئيسي لهـذه المرحلة الحاضرة ؟ مـا هي الروافد التي يمكن ان تمده بكل مـــا هو مخصب ومثمر ؟ ماذا يستطيع ان يحمل من تبعات ؟ مـا هو منسوبه الحـــالي ، والمنسوب الذي يمكن ان يرتفع اليه ؟ من اين ينبع ، وفي اي شيء يصب ؟

هذه نماذج من ملايين الاسئلة التي تصوغ التخطيط الشامل لبنائنا الثقافي . وحينذاك يقود الحديث عن المجلات الى الحديث عن بقية مؤسساتنا الثقـافية : الى المجلس الاعلى للفنون ، الى جمعيـة الادباء ، الى الدار القومية ، الخ . فالتشريع والتنفيذ في الحقل الثقافي لا بد من ايجاد تنسيق كامـــل بينهما ، في « الرجال والعتاد » كما يقـال ، او في « الاهداف والوسائل » كما ينبغي ان نقول . عندئذ لن نفاجأ بمجلة « كالرسالة » تؤكد بلهجة يقينية انه كما تآمر الغرب على الوحدة الاسلامية باقامة حكم محمد علي في مصر ، كذلـــك يتآمر اليوم بالدعوة الى القومية العربية، فهي ليست الا مؤامرات غربية ضد الجامعة الاسلامية ! ولن نفاجأ – وهذا هو المهم – بقرار يأمر بايقاف المجلات التي تصدرهـا وزارة الثقافة !

واذا كانت هذه المجلات قد ضربت رقما قياسيا في كسب اكبر عدد من « الشامتين » في توقفها عن الصدور ، فان مجلات الفكر الثوري « كالطليعة » و « الكاتب » ، تكسب المزيد من التـأييد والثقة يوما بعد يوم . فبـــالرغم من القرابة الفكرية بين المجلتين ، الا انهما ، من الاعداد الاولى ، تتميزان بالتخطيط الواضح ، وهو الارتبـاط الحر العميق بمشكلات الفكر الثوري وقضايا الشعب .

وليس من العسير ان نقف على العديد من الصعاب والعقبات التي تعرقل المجلات الثورية بشكل عام ، والمتخصصة منها في القضايا النظرية بشكل خاص. الا ان العقبـــة الاولى التي تواجه « الكاتب » و « الطليعة » هي غياب الكادر السيـاسي المنظم الذي يستطيع ، في اطار الاتحاد الاشتراكي العربي، ان يكون همزة الوصـــل بين المستوى الاكاديمي للمجلتين والمستوى الثقافي الراهن للجماهير الشعبية .

وبالرغم من ان نشرة « الاشتراكي» التي تصدرها امانة الدعوة والفكر ، تؤدي هذا الدور الى حد مـــا ، الا ان الجـانب النظري في « الـكاتب » والجانب التطبيقي في « الطليعة » لا يتكاملان الا بواسطة فريق من المناضلين الثوريين القـــادرين على توصيل هذا الفكر الثوري الى مجال العمل الواقعي للجماهير ، حتى لا يتحول الى مقولات جـــاهزة وجامدة على السنة المثقفين المحنطين في مقاعد شبرد وسميراميس . فـــالتفاعل بين الفكر والعمل هو

الامكانية الوحيدة للابقاء على ثورية الفكر وتطوير العمل .

ان ازدهار « الكاتب » و « الطليعة » انتصار ضخم للمثقفين الثوريين ، ولكنهما معـا يجب ان تتجاوزا هذه الخطوة الى ما هو ابعد ، الى صميم الشعب العامل . فيها الامل الوحيد في هذا الخواء الرهيب من المنابر الجادة ، الامـل في الحصول على امتدادات اكثر ازدهـارا « للمجلة » الجديدة و« التطور » و « الفجر الجديد » ، وغيرهـا من مجلات ومنابر النضال الثوري للثقافة المصرية المعاصرة .

والحديث عن المجلات الثورية، يجرنا الى الحديث عن احد رواد الفكرة الاشتراكية في اللغة العربية، وهو المفكر المصري العظيم سلامـة موسى . فقـد وفدت ذكراه السابعة ، والبلاد تتـأهب لتحقيق احلامه في مصر الاشتراكية .

وسلامة موسى ليس مجرد تراث فكري ربما نستطيع الاستغناء عنه اليوم بما هو اكثر دسامة وعمقا، ولكن سلامة في الاساس تراث نضالي لفكرة ظلت تدوسها الاقدام في السجن والمعتقلات والمنافي، امدا طويلا . فنحن عندما نذكر سلامة موسى لا نذكر اسماء خمسة واربعين كتـابا تبدأ « بمقدمة السوبرمان » عام ١٩٠٩ وتنتهي « بمعجم الافكار» الذي لم ينشر بعد . كلا ، وانما نذكر قرابة نصف قرن من اللهاث والعرق والصمود من اجـل تغيير المجتمع الاقطاعي البرجوازي شبه المستعمر ، الى مجتمع حر متقدم. فالحق انه لن يبقى من سلامة موسى سوى « الرمز » الى كفاح الفكرة الاشتراكية في مصر خمسين عاما او يزيد . وربما تدل الاحصاءات على ان قراء سلامة موسى زادوا عددا بعد وفـاته عـام ١٩٥٨ ، ولكن هذه الزيادة مؤقتة الى حد كبير ، لان سلامة موسى كفكر لم يعد هو التعبير الامثل عن حياتنا الجديدة . فلقد اصبحت لحياتنا ابعاد ودلالات جديدة لم تعش في ذهن سلامة ولم تعرفها تجربة حياته ؛ لهذا فهو كتراث ثقـافي لن يلهمنا كثيرا، كما كانت تلهمنا حياته وفكره خلال السنوات الطويلة الماضية . فالباقي من سلامة موسى، لنا وللاجيال القادمة ، هو « القيمة » التي رصد لنا حياته من اجلها، وهي ان ننذر ذواتنا للاشتراكية، فكرا وسلوكا . لقد لاقى في سبيل هذه القيمة عنتا مذهلا واضطهـادا مريرا ، فقد وقف وحده في الميدان مرحلة طويلة ضد اعتى القوى الرجعية من العرش الى الاستعمار الى كهنة الاقطاع من المضللين باسم الدين .

بل ان هذا النفوذ الرجعي قد نجح في ان يمتد اثناء الثورة ويلقي ظله البشع على حياة هذا المفكر المنـاضل ، تارة باسم « العروبة » واخرى باسم « الاسلام » . ولم يصب سلامـة كفيره بعقدة « الاقلية » ازاء هذه المقدسات ، فظل كاتبا حرا الى آخر لحظات حياته، يدلي الى قرائه بما يراه حقا وصوابا، مهما كان هذا الحق والصواب يصدمان اعز الناس اليه .

وبالرغم من ان سلامة موسى كان المفكر الاشتراكي الوحيد الذي استقبل ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٢ بفهم علمي سليم دفعه لان يقف مع طلائع حماتها عن وعي واقتناع وايمان، الا انه ظل مقصيا عن منابر الثورة تحت ضغط المؤامرات الرجعية ضد الفكر الاشتراكي . فقد استطاعت هذه المؤامرات ، كما قلت ، ان تحيط وجه سلامـة موسى بسحب من الشك في موقفه من العروبة والاسلام .

حـالت هذه المؤامرات مرة اخرى دون تقييم الفكر الاشتراكي في بلادنا ، وتسجيـله وتحليـله ، حتى نضع موقف سلامة موسى من العروبة والدين في اطار موقفه العام من المجتمع والحضـارة . فلا شك ان عزل مواقف جزئية عن الموقف العام يؤدي الى تشويه الحقيقة الموضوعية . هـذه الحقيقة الـتي تقول ان « الفكرة المصرية » كانت تعبيرا ثوريا عن الحركة الاجتماعية في مصر خـلال العشرينـات والثلاثينـات من هذا القرن . وكان العقاد و طـه حسين وهيكل وسلامة موسى و عبد القادر حمزة و غيرهم يلتفون حول هذه الفكرة التي تجسدت في شعـار « مصر للمصريين » وليست للاتراك او الانكليز. فليس من المعقول اذاً ان نأتي في الستينات، حين اصبحت الفكرة المصرية « فعلا مـاضيا » ، لنحاسب هؤلاء الرواد بميزان الحاضر . ولعل اولئك الذين يدافعون عن العروبة الآن ، مهاجمين سلامة موسى بمقتطفات من كتاباته عـام ١٩٢٨ ، هم اولئـك الذين كانوا يلهثون في الدفـاع عن الملكية

والاستعمار في ذلك الوقت . ان الفكرة العربية لم تكن احد عناصر المرحلة التاريخية التي عاشها الرواد ، بل كانت تحمل مضمونا مختلفا عن مضمونها اليوم .

هذا من ناحية « العروبة » ، اما من ناحية « الدين » فقد ينفرد سلامة موسى عن بقية ابناء جيله من كتاب الثورة الوطنية الديمقراطية ، في التزامه بالمنهج العلمي الذي يرفض الغيبيات كاساس للمعرفة . ولن نجد في واقع الامر حرفا واحدا في تراث سلامة موسى ضد الاسلام ، ولكن حين يكتب عن حرية الفكر او نظرية التطور كادوات لا بد منها للمعرفة العلمية، فانه بلا شك يمس الاديان كمنهج غيبي. على ان موقفه من الاسلام بالذات كان موقفا موضوعيا حين كتب يمجد ما به من قيم ايجابية بعيدة عن غشاوة الغيبيات في المسيحية .

اذاً ، فنحن اذا لم نعزل موقف سلامة من العروبة والاسلام عن موقفه الفكري العام، نستطيع ان نحصل على مفكر تقدمي بارز في تاريخنا الحديث، حمل لواء الكفاح من اجل الفكرة الاشتراكية ، فاسهم بكل ما يملك من امكانيات في مختلف اشكالها العملية والفكرية .

لهذا يبدو لنا سلامة موسى رمزا للنضال المصري من اجل الاشتراكية، وتأتي ذكراه كمناسبة لضرورة تغيير الموقف الرسمي من هذا المفكر العظيم ، بل وتغيير الموقف من تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر، حيث يحتاج الى دراسات موضوعية تضع كل فكرة وكل انسان في مكانه الصحيح من حركة التاريخ . من هنا نحيي مجلة « الطليعة » التي افردت قسما كبيرا من صفحاتها لدراسة تراث سلامة موسى .

موسم حاسم في المغرب

الرباط ، من محمد اديب السلاوي :

انتعشت الحركة الفنية بالمغرب وخطت خطوات مهمة الى الامام هذا الموسم ، بعد الركود الذي اكتنفها في السنوات الاخيرة ، الناتج عن اهمال المصالح الادارية المسؤولة عن الفنون في البلاد .

ويمكن اعتبار الموسم الفني الحالي انطلاقة جديدة في حياة الفنون الجميلة بالمغرب ، بعد الاهتمامات الادارية والادبية التي توجهت نحو الفنون ونحو رفع مستواها وجعلها تضاهي الحياة الاجتماعية والفكرية بالمغرب .

فبالنسبة للمسرح اسندت الادارات المركزية لمسرح محمد الخامس (وهو اكبر المسارح في شمالي افريقيا) والمسرح البلدي بالدار البيضاء ومسرح الجديدة ، لاول مرة في تاريخ المغرب المستقل، الى فنانين مغاربة – الشيء الذي عزز الحركة المسرحية وجعلها ، ولو من الناحيتين الادارية والشكلية ، تستمر بنشاط ملحوظ طوال شهور الموسم ، بعدما كانت مهانة من طرف المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا حتى ١٩٦٤ يحتلون الاطارات الفنية بالبلاد.

وبالنسبة للرسم ، تشكلت مع بداية الموسم ، ولاول مرة ، جمعية الفنون الجميلة ، التي انطوى تحت لوائها جميع الرسامين المغاربة . وعقدت هذه الجمعية مؤتمرها الاول واتخذت فيه قرارات ايجابية، ثم اشرفت بنفسها على معظم المعارض الفنية المغربية لهذا الموسم .

اما في الميادين الاخرى فقد اولت الدولة الفولكلور والمعاهد الموسيقية ومدارس الفنون التشكيلية اهتماما كبيرا هذه السنة ، ووضعت لها برامج وخططا لا بد وان تعطي ثمارها في المستقبل . كما ان النقاد المغاربة تحركوا في هذا الموسم بعد غياب طويل ، وقيموا باخلاص كل انتاج ، وحاولوا جهدهم توجيه الحركة لصالح الاتجاه التقدمي في البلاد .

ولدت الحركة المسرحية في المغرب منذ نحو اربعين سنة ، في مجتمع ليس له سابق معرفة بالمسرح وبالادب المسرحي . فعاش اول حياته في فقر مدقع في موارده الادبية والمادية ، خاصة وان المجتمع كان لا يهمه المسرح بقدر ما يهمه الفولكلور والموسيقى